

مجلة العلوم الإنسانية

Journal of Human Sciences

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب/ الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

Issued by Al - Marqab University
Faculty of Arts alkhomes

مارس 2019م

18

العدد

الثامن عشر

الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية

د. محمد علي الدراوي

مقدمة

تعد الكتابات الكلاسيكية سواء الإغريقية منها أو الرومانية من أهم المصادر التي يُعتمد عليها في دراسة تاريخ ليبيا القديم، خاصة فيما يتعلق بموضوع عناصر السكان، فمن خلالها معرفة الكثير عنهم، ورسم صورة إلى حد ما واضحة المعالم لهم.

إن من أهم المجموعات السكانية التي حظيت باهتمام كتّاب، مثل: هيرودوتس Herodotus(*)، وسترابو Strabo(**)، وبليني Pliny(***)، وسيليوس آتاليكوس

---

* هيرودوتس Herodotus (484–420 ق.م) مؤرخ إغريقي كبير، ينحدر من أسرة إغريقية شهيرة، لقب بأبي التاريخ PATER HISTORIAE، وقد زار العديد من البلدان والأقاليم.

- Sacks. D, Encyclopedia of Ancient Greek World, New York, 2005, PP. 154–155.

** سترابو Strabo جغرافي إغريقي شهير، ولد في نحو منتصف القرن الأول قبل الميلاد، زار العديد من البلدان، له كتاب ضخم في الجغرافيا *Geography*، ويتألف من سبعة عشر جزء، وتوفي في 20 ق.م.

- Matthew. B, Encyclopedia of the Roman Empire, New Yourk, 2002, P.515.

*** بلينيPliny (23–79م)، كاتب وأحد الموسوعيين الكبار في التاريخ الروماني، عمل مستشارًا للإمبراطورين فاسبسيان (69–79م)، وتيتوس (79–81م)، وحينما ثار بركان فيزوف في صيف 79م ذهب للحوظ البركان، حيث مات من الغازات السامة المنبعثة من البركان، ألف العديد من التواريخ والدراسات، وللأسف لم يبق منها سوى التاريخ الطبيعي *The Natural History* فقط، والذي يقع في سبعة وثلاثين كتابًا.

- Matthew. B, op. cit. P.436.

Silius Italicus[****]، وتاكتيوس Tacitus[*****]، هم الجرامنت Γαραμαντες[*]، وذلك لأسباب عدة، منها الدور الذي لعبوه في حركة التجارة الصحراوية، المماثل لذات الدور الذي لعبه الفينيقيون في التجارة البحرية، إضافة لمقاومتهم للوجود الروماني سواء كان ذلك بشكل مباشر أو من خلال دعمهم لأي ثورة قد تنهض ضد ذلك الوجود.

مشكلة الدراسة تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول الجرامنت وحضارتهم التي تعد من أهم الحضارات الليبية القديمة، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

وعليه كانت هناك بعض التساؤلات سعت الدراسة للإجابة عنها، وهي:

من هم الجرامنت؟ وأين أماكن تواجدهم؟ وما هي أصولهم؟ وكيف كان النظام السياسية عندهم؟ وماهي علاقاتهم الخارجية؟ وما الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها؟ وما مظاهر حياتهم الاجتماعية؟ وما هي عقائدهم الدينية.

**** سيليوس إيتاليكوس Silius Italicus (26–101م)، شاعر ملحمي، وخطيب بارع، ومحامٍ، كما عمل سياسيًا، ومؤلف الكتاب الضخم "بيونكا" *Punica* في سبعة عشر جزءًا، والذي يغطي الحرب البونية الثانية.

- Matthew. B, op. cit. P.506.

***** تاكتيوس Tacitus (55–120م) مؤرخ وخطيب وسياسي روماني، له عمل من ستة عشر جزءًا، يسمى OB EXCESSUS DIVI AUGUSTI (بعد موت المؤله أغسطس).

- Matthew. B, op. cit. P.521.

[*] الاسم كما ورد في أغلب المصادر مثل: هيرودوتس وبليني، وفي القليل من تلك المصادر ورد برسم Γαραβαντες أو Γαμφασαντες، للمزيد انظر: الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس (هيرودوت) الكتاب السكثي والكتاب الأول، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2003م، هامش ص125.

أهداف الدراسة/ تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالحضارة الجرامنتية، ومظاهرها المختلفة، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، إضافة للحياة الدينية.

منهجية الدراسة/ تعد المنهجية من الفاعليات الأساسية في أي جهد علمي، وعليه فإن هذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي المعتمد على التحليل النقدي والمقارنة بين ما توفر لدينا من معلومات سواء من المصادر الأدبية التي أشارت للجرامنت أو المعطيات الأثرية الناتجة عن أعمال الحفر والتنقيب في المناطق التي استقروا بها.

هذا ولدراسة الموضوع قُسمت الدراسة إلى المحاور التالية، وهي:

أولًا: موطن الجرامنت/ سكن الجرامنت الجنوب الليبي في منطقة فزان، وكانت عاصمتهم جرمة Garama، أورد هيرودوتس بأن موطنهم يبعد مسيرة عشرة أيام للغرب من واحة أوجلة Αυγιλα [1]، كما ذكر بليني في كتابه التاريخ الطبيعي بأن بلادهم على بُعد أثنى عشرة يومًا من أوجلة[2].

هذا وإن كنا لا نعرف على وجه اليقين حدود مناطقهم بدقة، فإن حدودهم الشمالية قد تكون محددة تقريبًا بالخط الدفاعي الذي أقامه الرومان، والممتد من أبو نجيم شرقًا إلى غدامس غربًا مرورًا بالقريات، وقد ذكر ماتنقلي Mattingly أن مراكزهم كانت بين الحمادة الحمراء وبحر رمال أوباري ومرزق[3] (الشكل1)، ودلت أعمال الحفر والتنقيب في زنككرا –جنوب غرب مدينة جرمة– على أنها المركز الرئيسي الأول الذي استقر به الجرامنت، وأنها ظلت مأهولة من القرن التاسع قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، أما العاصمة جرمة، فإن أقدم استيطان بها يرجع للقرن الرابع قبل الميلاد، وفي منطقة

---

1 Herodotus, IV.183.
2 Pliny, The Natural History, V. 26.
3 Mattingly.D.J, Tripolitania, The Bath Press, London 1995, P.33.

وادي الآجال حيث تنتشر المراكز الجرامنتية أُحصي ستون ألف قبر لهم[1]، وقد شكك داينلز في هذا العدد على أنه أقل بقليل مما هو موجود فعلًا[2]، الأمر يعكس العدد الكبير لهم في تلك الأنحاء، وهو ما أكده هيرودوتس في معرض حديثه عنهم بأن عددهم كبير[3].

ثانيًا: أصل الجرامنت/ لقد تباينت واختلفت الآراء حول أصل الجرامنت، وأن كانت جميها يجمع على أنهم ليسوا من السكان الأصليين للمنطقة، وأنهم وافدون إليها، وهذه الآراء هي:

– الرأي الأول/ يرى أنهم من شعوب البحر، وتحديدًا من جزر كريت وصقلية وسردينيا، وأنهم نزحوا عنها لزلزال قد ضربها وخربها[4]، وجاءوا للساحل الليبي في حوالي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد لغزو مصر، وعند فشلهم في تحقيق ذلك توجهوا نحو واحات الجنوب حيث استقروا، في حين يرى آخرون بأنهم توجهوا غربًا نحو جزيرة جربة وساحل قابس، واختلطوا بالسكان الأصليين، ولكنهم نزحوا نحو واحات الجنوب عندما قدم الفينيقيون للمنطقة[5].

---

[1] Ibid. P.34.

[2] تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، العدد الثاني، مارس 1991م، ص40.

[3] Herodotus, IV.183.

[4] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، ب.ت، ص ص131 – 132.

[5] محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والانثروبولوجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م، ص308.

- الرأي الثاني/ ويعتقد أصحاب هذا الرأي أنهم من واحة سيوة التي تركوها واتجهوا نحو الواحات الليبية[1]، وذلك خوفًا من حملة الملك الفارسي قمبيز الثاني Καμβυσης II (529– 522 ق.م) الذي كان قد وجه حملة إلى هذه الواحة انتقامًا منها بسبب النبوءات التي يطلقها معبد نبوءات آمون الذي بها، والتي مفادها أن الفرس ستلحق بهم الهزيمة، وسيلاقي قمبيز سوء المصير في القريب العاجل، غير أن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح لهلاك الجيش الفارسي في الصحراء وهو في طريقه إليها[*].

- الرأي الثالث/ يرى أنهم من الفلسطينيين الذين هاجروا عن بلادهم إلى الشمال الأفريقي بعد أن رحلوا عنها بُعيد هزيمة جالوت أمام الملك داوود[2]، واستنادًا على ما أورده بروكوبيوس القيصري من أن اليهود بعد وفاة موسى عليه السلام خرجوا من مصر بقيادة يوشع بن نون اتجهوا نحو فلسطين، وبعد حرب شرسة تمكنوا من الاستيلاء عليها، وهزيمة أهلها الذين تحرك قسم منهم لمصر، ومنها اتجهوا نحو ليبيا القديمة، رأى البعض بأن هؤلاء هم أسلاف الجرامنت[3].

---

[1] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص ص133 – 134؛

* أورد هيرودوتس أنباء هذه الحملة، للمزيد انظر:

- Herodotus, III. 25 – 26.

[2] Bates. O, The Eastern Libyans, CO.LTD, New impression, London, 1970, P.257.

[3] محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص309.

-الرأي الرابع/ يربط بعض الباحثين بينهم وبين المجموعة (ج)[1]، والتي ظهرت في النوبة بين الشلال الأول والشلال الثالث، في الفترة من (2250 – 1500ق.م)[2]، لوجود بعض القواسم المشتركة بينهما هذا والجدير بالذكر أن تلك الآراء في مجملها لا يستند على أية أدلة قوية يثبت صحتها، غير أن هناك رأي أخير يمكن الركون إليه، وهو الأقرب إلى المنطق وجادة الصواب، إذ يرى بأنهم من قبيلة جرهم العربية[*]، وذلك استنادًا على أن أول إشارة للجرامنت جاءت من كتّاب إغريق أو رومان، وهؤلاء ليس بمقدورهم نطق حرف الهاء فاستبدلوه بحرف الألف لتصبح جرهم جرامة، والجرهميين الجرامنت، إضافة للتشابه الكبير بين الحروف الليبية القديمة التي منها التيفيناغ وحروف الكتابة الظفارية التي تنتشر في جبال ظفار بسلطنة عمان اليوم[3]، والأبجدية الفينيقية[4]، كما استخدم الجرامنت اللغة الفينيقية نفسها، وفي هذا الصدد ذكر الكاتب أرنوبيوس

---

1 رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م، ص214.

2 شاهندة عمر أحمد الباشا، حضارة كرمة: النشأة والتطور والامتداد الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2009م، ص20.

* مما يؤكد ذلك قول سترابو من أن سكان المنطقة يشبهون البدو الرعاة العرب.

– سترابو، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترافون(سترابون) (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، 3. 19.

3 محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص310.

4 محمد علي حسين الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003م، ص ص 185– 186.

Arnobius وهو من كتّاب القرن الثالث الميلادي أن الجرامنت كانوا يتحدثون الفينيقية على زمنه[1].

ثالثًا: الحياة السياسية/

نظام الحكم: كان الجرامنت من أكثر المجتمعات الصحراوية تنظيمًا، فقد كان النظام السياسي عندهم ملكي، يكون الملك فيه على رأس هرم السلطة، إضافة إلى أنه قائدًا للجيش، وربما كان كاهنًا كذلك، فهو بذلك يجمع بين السلطتين الدنيوية والدينية، وتدل مقابر أولئك الملوك على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم حكامًا لرعيتهم في الحياة الدنيا وحتى بعد مماتهم[2].

هذا وكان لأولئك الملوك نوابًا في الأقاليم التابعة لهم، ويدفعون لهم الضرائب، ويمدونهم بالمقاتلين عند الحاجة، كما كانوا يسيّرون القوافل التجارية ويؤمنونها، وكان لكل نائب وحاكم إقليم قصرًا خاصًا به، ومقبرة فخمة له ولأفراد أسرته [3].

الجيش: كان للجرامنت جيش منظم يتألف من الفرسان، وهم الخيالة وراكبي العربات التي اشتهروا بقيادتها وتجرها أربعة الخيول، وقد أشار هيرودوتس إلى ذلك في معرض حديثه عنهم[4]، والتي كثيرا ما نراها في النقوش الجرامنتية (شكل2)، كما ضم الجيش المشاة، وكانت لهم فرق عسكرية خاصة بردم الآبار وسد الطرق والمسالك وقطع إمدادات العدو [5].

---

1 EL Mayer. A. F, Re-Interpretation of Latino-Punic inscription from Roman Tripolitania, LS, vol.14, 1983, P.92.

2 محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص ص157– 158.

3 المرجع نفسه، 159.

4 Herodotus, IV.183.

5 Pliny, The Natural History, V, 5;

– محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص160.

هذا وقد قاد الجرامنت العديد من الحروب ضد الرومان، ودعموا الثورات المناهضة لهم، كدعمهم لثورة الجيتوليين في سنة21ق.م[1]، والذي كانت نتيجته أن وجه الرومان حملة عسكرية بقيادة كورنيليوس بالبوس *Cornelius Palbus* خلال سنة 19 ق.م، وقد نقل لنا بليني أخبار هذه الحملة[2]، ووثق النصر الذي حققته الحملة على قوس الإمبراطور أغسطس *Augustus* في روما[3]، ولكن حقيقةً يبدو أن هذه الحملة فشلت ولم تحقق أهدافها، إذ سرعان ما قام الجرامنت بدعم تاكفيريناس *Tacfarinas* في ثورته المناهضة للوجود الروماني التي عمت أغلب مناطق شمالي أفريقيا سنة 17م[4]، إضافة لوقوفهم إلى جانب أويا في حربها ضد لبدة الكبرى سنة 70م حتى أنهم حاصروها إلى أن تصدت لهم القوات الرومانية بقيادة فالريوس فيستوس *Valerius Festus* وألحقت بهم هزيمة[5]، وفي أرضية فسيفسائية عثر عليها بإحدى الفيلّات الرومانية والمعروفة باسم دار بوك عميرة بزليتن مشهد يصور أحد الأسرى وهو يصارع أسد، رأى أحد الباحثين بأنه يمثل أسيرًا من الجرامنت بعد هزيمتهم أمام فستوس[6](شكل3)، كما أخبرتنا المصادر بحملة أخرى قام بها سبتيميوس فلاكوس *Septimius Flaccus* قائد الفرقة الأغسطية الثالثة في سنة 80م، وقد اتجهت هذه الحملة لجرمة وتجاوزتها جنوبًا، وهناك حملة أخرى

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م، ص86.

- Haynes. D.E.L, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, Libya, 1965, P.36.

[2] Pliny, The Natural History, V.

[3] تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ص36.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص89.

[5] Tacittus, IV.50.

[6] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص141.

انطلقت من مدينة لبدة الكبرى بقيادة يوليوس ماثيرنوس *Julius Maternus*، واتجهت جنوبًا صحبة الملك الجرامنتي، ربما كانت لأغراض تجارية، ووصلت الحملة إلى بلدة تسمى أجيسمبا *Agysimba* [(1)].

هذا كما تحالف الجرامنت مع النسامونيس بالإغارة على المنطقة الساحلية، الأمر الذي دفع الإمبراطور سبتيميوس سيفيريوس *Septimius Severus* (193-211م) لتوجيه حملة للتصدي لهم[(2)].

رابعًا: الحياة الاقتصادية/ مارس الجرامنت العديد من الأنشطة الاقتصادية المختلفة، لعل من أهمها النشاط التجاري، فقد لعبوا دور الوسيط التجاري بين المراكز التجارية الساحلية حيث منطقة المدن الثلاث في الشمال وأواسط أفريقيا في الجنوب، إذ كانت عاصمتهم جرمة مركزًا مهمًا لتجمع السلع القادمة من أفريقيا[(3)]، وقد ساعدهم على ذلك عوامل عدة من أهمها: تمركزهم في منطقة تعد من أقصر الطرق وأكثرها أمانًا بين أواسط أفريقيا في الجنوب والمراكز التجارية الساحلية في الشمال، إضافة لعدم وجود أية عقبات طبيعية بينهما، ووجود سلسلة من الواحات التي تعد ملجأ مناسبًا للقوافل التجارية للراحة والتزود بالماء الذي كان موجودًا على مستويات قريبة جدًا من سطح الأرض[(4)]، أما العامل الأخر تمثل في وجود الفينيقيون بالشمال، الذين استقبلوا سلعهم التي من بينها

[1] تشارلز دانيلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ص35؛
Haynes. D.E.L, op. cit. P.38.

[2] EL Mayer. A. F, Tripolitania and Roman Empire, Markaz Jihad AL Libyan Studies Centre, Tripoli, 1996, P.109; Haynes. D.E.L, op. cit. P.39.

[3] أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، مصراتة، 1993، ص117.

[4] Gsell.S, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tome.2, P.139

جلود الحيوانات والأخشاب، والعاج الذهب الذي يعتقد بأنه كان يجلب من أعالي النيجر أو غينيا العليا[1]، والحيوانات المفترسة والأحجار الكريمة التي منها العقيق الأحمر الذي أطلق عليه الإغريق أسم الحجر القرطاجي Καρχηδωνιος Λιθος الذي ذكر سترابو بأنه يؤتى به من بلاد الجرامنت[2]، وعثر عليه في بعض مواقعهم[3]، وقد استبدل الجرامنت تلك السلع بالأسلحة والأقمشة والزجاج والأواني الفخارية[4]، ففي مقابر زنككرا عثر على فخار من روماني من إيطاليا ومن جنوب بلاد الغال، إضافة لأواني زجاجية وفخار مصري[5]، هذا وقد استخدمت القوافل التجارية في نقل البضائع الحيوانات المختلفة، مثل: الحمير والثيران التي كثيرًا ما ظهرت في الرسوم الصخرية بمنطقة فزان[6]، إضافة للخيول[7] التي كثيرًا ما استخدمت في جر العربات، أما الجمل فجاء متأخرًا إلى الشمال الأفريقي، ورأى جازيل بأنه دخل شمال أفريقيا في القرن الثالث الميلادي[8]، غير

1 Bates. O, op.cit. P.107; Gsell. S, op.cit. Tome.4 P.140.

2 Strabo, Geography, XVII.3.11, 19.

3 محمد سليمان أيوب، حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1969م، ص216.

4 Bates. O, op.cit. P.107.

5 تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ص40.

6 Bates. O, op.cit. P.103.

7 تعود جذور الحصان الشمال أفريقي إلى أصول عربية، وقد دخل أول مرة إلى مصر مع الهكسوس (الأسرة الثامنة عشرة)، والذي سرعان ما انتشر في جميع أنحاء شمال أفريقيا، ولكن أهميته قلت إلى حد ما بعد دخول الجمل، على الأقل في أكثر الأماكن صحراوية، للمزيد انظر:

- Demougeot.E, Le Chameau et l'Afrique du Nord romaine, Annales, Économies, Sociétés, Civilisations, Vol.15, 1960, P.209.

8 Gsell.S, op.cit. Tome.4, P.139.

أن روبير مارشال رأى بأن قوافل الجمال كانت موجودة حتى قبل قدوم الرومان للمنطقة[1].

أما الصناعة، فقد عثر ببعض مواقع الجرامنت على أفران خاصة بخلط النحاس، وفي بعض المواقع وجدت مخلفات لصهر الحديد[2]، كما أكتشف في أحد مواقعهم أيضًا على فرن لتنقية الفضة[3]، وكان من الصناعات الأخرى التي مارسها الجرامنت صناعة الفخار، والنسيج، والزجاج، والأدوية[4].

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي كان لها حضور عند الجرامنت النشاط الزراعي والرعوي، فقد أشار هيرودوتس إلى قيامهم بزراعة الأرض الملحية بعد وضع طبقة من التربة[5]، يذكر تشارلز دانيلز في هذا الصدد أن الجرامنت زرعوا القمح والشعير والكروم واللوز والتين والرمان والزيتون[6]، وكشفت الأدلة الأثرية إلى أن المساحة المزرعة من أراضي الجرامنت تزيد على 130كم^2[7]، وتعد أشجار النخيل من أهم الأشجار، ذكر

---

1 روبير مارشال، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة محمد علي عيسى أبو القاسم، مجلة ليبيا القديمة، الملحق السابع، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1992م، ص14.

2 سالم محمد عبد الله هويدي، الحضارة الجرمية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، طرابلس، 2010م، ص162.

3 تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ص39.

4 سالم محمد عبد الله هويدي، المرجع السابق، ص ص163– 167.

5 Herodotus, IV.183.

6 تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ط2، دار الفرجاني، طرابلس، 1991م، ص80.

7 عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م، ص ص57– 58.

بليني بأن الأنحاء الداخلية وحتى بلاد الجرامنت مكسوة بها، وتميزت بكبر حجم تمورها ومذاقها الحلو[1].

هذا ومن أهم الآثار الباقية حتى يومنا التي تدل على أهمية النشاط الزراعية عندهم الفجارات، وهي عبارة عن آبار تربطها قنوات من أسفل، وتعد هذه الفجارات نظام دقيق للري، ذكر ماتنقلي بان عددها حوالي 600 فجارة[2].

أما النشاط الرعوي وتربية الحيوانات يمكن أن نتلمسه في حديث هيرودوتس الذي أشار فيه إلى أبقارهم التي ترعى وهي تسير للخلف حتى لا تنغرس قرونها بالأرض[3]، وحديث سترابو عن اهتماهم بتربية الخيل، وإنتاجهم السنوي من المُهر الذي يصل فيه عددها إلى مئة ألف سنويًا[4].

خامسًا: الحياة الاجتماعية/ ينقسم المجتمع الجرامنتي بصفة عامة إلى حضر وبدو[5]، والحضر هم ساكني المدن والواحات، أما البدو، فهم أبناء العشائر المعتمدة في حياتها على الرعي والترحال بحثًا عن الماء والكلاء، وكان هناك أيضًا العبيد، وهم أسرى الحروب، وكانت تسند إليهم أعمال الخدمة في البيوت، والأعمال الزراعية، والرعي[6]إن السيادة في المجتمع الجرامنتي للرجل، والذي يستطيع الزواج بعدد كبير من النسوة، وكان له عدد ليس بالقليل من الأبناء[7]، ورغم ذلك دلت قبور النساء الفخمة، وما ضمته من أثاث جنائزي إلى تمتعهن بمكانة مرموقة في المجتمع الجرامنتي[1].

---

[1] Pliny, The Natural History, XIII.3.
2 Mattingly. D.J, op. cit. P.34.
[3] Herodotus, IV.183.

[4] سترابو، المصدر السابق، 3. 19.

[5] Pliny, The Natural History, V.5.

[6] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص ص156– 157.

[7] Mela, I. 8;

أما الملابس الجرامنتية، فقد ارتدى الجرامنت ملابس صنعت في الفترة المبكرة من الجلد، ولكنها أصبحت فيما بعد من القماش، ومما لاشك فيه بأنها لا تختلف عن ملابس باقي القبائل الليبية الأخرى، والتي هي عبارة عن عباءات فضفاضة تحتها ثوب قصير حتى الركبة، ومثبتة عند الخصر، وفي أحيانًا أخرى لا يرتدون شيء سوى حزام جلدي مزخرف لستر العورة[2]، وقد عُثر على أجزاء من هذه الملابس في مقابرهم، كما تميز الجرامنت بوضع ريشة على رؤوسهم[3](شكل4).

أما مساكن الجرامنت كانت بداية أكواخ من أغصان الأشجار، ومن تم حلت محلها مساكن مبنية من الطوب، وقد دلت الاكتشافات الأثرية على أن الجرامنت استقروا بدايةً على جبل زنككرا، وذلك منذ الألف الأول قبل الميلاد على الأقل، وأستمر حتى القرن الأول الميلادي، ولكن مع أواخر هذا القرن غادروا هذا الجبل إلى موقع جرمة الذي أنشأوا به خلال القرون الثلاثة الأولى الكثير من المباني المختلفة بعضها تألف من طابقين، وزينت بعض جدران تلك المساكن بالطلاء[4].

سادسًا: الحياة الدينية/ من العقائد الدينية التي يعتقد انتشارها بين الجرامنت وبعض القبائل الليبية الأخرى عبادة الأسلاف، ورأى بعض الباحثين أن تسمية بعض القبائل بأسماء أجدادها يأتي ضمن هذه العقيدة، مثل جرامس جد الجرامنت، ونسامون جد

– سترابو، المصدر السابق، 3. 19.

1 محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص156.

2 تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص ص 46 ، 48.

3 سالم محمد عبد الله هويدي، المرجع السابق، ص84.

4 تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص ص 67– 79؛ رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 214– 215.

النسامونيس، وبسيليوس جد البسيلي[1]، ربما وفاء وشكر لهم على ما أسدوه من نعم لأبنائهم، كما اهتموا بإقامة القبور لهم، فقد وجدت مصاطب على قبور الموتى الجرامنت[2]، ربما استخدمت لوضع القرابين المقدمة لأرواح أولئك الموتى، واستغلالها بالنوم عليها عند الاستخارة، لقد كان الليبي يعتقد باستحضار أرواح الأجداد، ويعتبر هذا الاستحضار جزءًا من الديانة الليبية، فكانوا يعملون على إيقاظ أرواح موتاهم، لاعتقادهم بأن أرواح أولئك الأجداد على صلة بالسماء، لذلك كانوا يحاولون استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل عن طريق استحضار أرواحهم والاتصال بها من خلال النوم على قبورهم، فقد كان المريد يغتسل وينام على قبر أحد أولئك الأجداد، وما يتجلى له في المنام من حلم يعتبره وحيًا من سلفه[3]. هذا ومن المعتقدات الأخرى التي كانت عند الجرامنت الإيمان بخلود الميت، ويتضح ذلك من خلال الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه بمقابرهم من أواني وأدوات للزينة[4].

أما طرق الدفن التي اتبعوها، ذكر سيليوس اتاليكوس بأنهم يدفنون ميتهم في حفرة ضحلة[5]، وبينت الاكتشافات الأثرية في وادي الآجال بأنهم كانوا يدفنون موتاهم بدون

---

[1] Bates. O, op. cit. P.174.

[2] محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م، ص162.

[3] محمد علي حسين الدراوي، العقائد الدينية الليبية القديمة وفق المصادر الكلاسيكية، المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي، الكويت، 10-12/ فبراير/ 2014م، ص ص 1177- 1178.

[4] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص179.

[5] Silius Italicus, Punica, XIII. 479.

توابيت[1]، وفي قبور مستديرة، يُسجى فيها الميت مضغوطًا على هيئة جنين (القرفصاء)[2]، يعتقد بأن هذه الطريقة تعود إلى عادة تكبيل جسد الميت لمنع عودة شبحه لمضايقة الأحياء، غير أن هاينز شكك في استمرارية هذه الفكرة عند الجرامنت[3]، كما عثر على نوع آخر من القبور وهي هرمية الشكل تبنى من اللبن وترتفع عن سطح ما بين المترين وخمسة أمتار، وحجرة الدفن تحت الهرم[4] (الشكل5)، أما النوع الآخر من القبور، فهي ترجع للعصر الروماني، ويوجد لها شواهد تكون غالبًا على الجانب الشرقي للقبر، إضافة لمائدة خاصة بتقديم القرابين[5] (الشكل6).

الخاتمة/ مما تقدم يمكننا استنتاج ما يلي:

-سكن الجرامنت بالجنوب الليبي في فزان، بالمنطقة الواقعة بين الحمادة الحمراء شمالًا وبحر رمال أوباري ومرزق جنوبًا، وكانت عاصمتهم جرمة، وقد تباينت الآراء حول أصولهم، وأن كان أرجحها الرأي القائل بأنهم من شبه الجزيرة العربية.

-كان الجرامنت من أكثر سكان المنطقة تنظيمًا، النظام السياسي عنهم ملكيًا، فيه الملك على رأس السلطتين الزمنية والدينية، وينوب عنه في الأقاليم التابعة لهم نواب، كما كان لهم جيش منظمًا تتوزع فيه الاختصاصات.

-قاوم الجرامنت الوجود الروماني، سواء بشكل مباشر أو من خلال دعم الثورات الوطنية المناهضة لهم.

[1] تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص 54.

[2] محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، ص168.

[3] Haynes. D.E.L, op. cit. P 23.

[4] محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص177.

5 تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص54.

-ينقسم المجتمع الجرامنتي إلى حضر وبدو، السيادة فيه للرجل، وأن كانت المرأة عندهم تحظى بمكانة مرموقة.

-كان للنشاط الاقتصادية وخاصة التجاري منه أهمية كبيرة في نشوء وازدهار الحضارة الجرامنتية، فقد لعبوا في التجارة الصحراوية ذات الدور الذي لعبه الفينيقيون في التجارة البحرية.

-سكن الجرامنت بدايةً بأكواخ، ثم انتقلوا للإقامة في مساكن مبنية من الحجر، أما ملابسهم، فهي لا تختلف عن ملابس باقي القبائل الليبية الأخرى.

-انتشرت بين الجرامنت عبادة الأسلاف، واستحضار أرواحهم؛ لاستطلاع المستقبل، كما اعتقدوا بخلود الميت، ودفنوا موتاهم في أنواع عدة من القبور.

ملحق الأشكال



(الشكل1)

المراكز الجرامنتية بالجنوب الليبي

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص15، الشكل رقم1

(الشكل2)

مشهد للعربات الجرامنتية التي تجرها الخيول

فابريتشيوموري، تادرارت اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م، ص215، اللوحات 139،138.







(الشكل3)

مشهد يصور أحد الأسرى الجرامنت وهو يصارع أسد

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص29، الشكل5.



(الشكل4)

رسومات عثر عليها في مقبرة سيتي الأول بمصر تصور أربعة ليبيين.

Bates. O, op. cit. PLATE. III.



(الشكل5)

الأضرحة الهرمية

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص59، الصورة7.



(الشكل6)

قبر من العصر الروماني له شاهد ومائدة قرابين

المرجع نفسه، ص55، الصورة6.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا/ المصادر: المصادر المعربة:

1. الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس (هيرودوت) الكتاب السكثي والكتاب الأول، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2003م.
2. سترابو، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترافون(سترابون) (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م.

أ. المصادر الكلاسيكية:

1. Herodotus. L.C.L
2. Mela L.C.L
3. Pliny. *The Natural History* L.C.L
4. Silius Italicus. *Punica* L.C.L
5. Strabo. *Geography* L.C.L

6. Tacitus *Annals* L.C.L

ثانيًا/ المراجع:

أ. المراجع العربية:

1. أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، مصراتة، 1993م.
2. تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، دار الفرجاني، ط2، طرابلس، 1991م.
3. تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، العدد الثاني، مارس 1991م.
4. رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م.
5. روبير مارشال، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة محمد علي عيسى أبو القاسم، مجلة ليبيا القديمة، الملحق السابع، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1992م
6. سالم محمد عبد الله هويدي، الحضارة الجرمية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، طرابلس، 2010م.
7. شاهندة عمر أحمد الباشا، حضارة كرمة: النشأة والتطور والامتداد الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2009م.
8. عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.

9. فابريتشيوموري، تادرارت اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م.

10. محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس.

11. محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م.

12. محمد سليمان أيوب، حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1969م.

13. محمد علي حسين الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003م.

14. محمد علي حسين الدراوي، العقائد الدينية الليبية القديمة وفق المصادر الكلاسيكية، المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي، الكويت، 10-12/ فبراير/ 2014م.

15. محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م.

16. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.

ب. المراجع الأجنبية:

1. Bates. O, The Eastern Libyans, CO.LTD, New impression, London, 1970.
2. Demougeot. E, Le Chameau et l'Afrique du Nord romaine, Annales, Économies, Sociétés, Civilisations, Vol.15, 1960
3. EL Mayer. A. F, Re-Interpretation of Latino-Punic inscription from Roman Tripolitania, LS, vol.14, 1983.
4. EL Mayer. A. F, Tripolitania and Roman Empire, Markaz Jihad AL Libyan Studies Centre, Tripoli, 1996.
5. Gsell. S, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tome.2,4, Paris.
6. Haynes. D.E.L, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, Libya, 1965.
7. Matthew. B, Encyclopedia of the Roman Empire, New Yourk, 2002.
8. Mattingly. D.J, Tripolitania, The Bath Press, London 1995.
9. Sacks. D, Encyclopedia of Ancient Greek World, New York, 2005.